

١٠ - محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

تساءل سيبس : فيم قولك إن الانسان لا يبنى أن يستل حياته ، وأنه يجب على الفيلسوف أن يُعَدَّ نفسه ليلحق بالموتى ؟^(١)
فأجاب سقراط : إنكما ياسيبس وسحياس ، تعرفان فيلولاوس^(٢) فهلا سمعنا قط يتحدث عن هذا ؟
إني ياسقراط لم أفهم قوله أبداً

ليست كلمتي كذلك إلا صدى ، ولكنني شديد الرغبة في أن أروي ما سمعته ، فالحق أني مادمت مريضاً لم أجد غير هذا المكان فيجب ألا يُشغَلَ الفصركُ ويدور الحديث إلا حول هذا الرجل الذي أوشك أن أقوم به ، وماذا عسى أن أفعل خيراً من هذا منذ الآن إلى أن تقرب الشمس ؟

إذن تحدثني ياسقراط ، لماذا استقر الرأي على ألا يكون الانتحار حقاً مشروعاً ؟ لقد سمعت فيلولاوس يقينا يؤكد ذلك عند ما كان يمكث بيننا في طيبة ؛ وثم أناس آخرون يقولون مثل هذا القول ، ولو أن أحداً منهم لم يستطع قط أن يفهم ما يقول فأجاب سقراط . ولكنك يجب أن تحاول الفهم ما استطعت ، ولا بد أن يأتي اليوم الذي تفهم فيه ، أحسبك تعجب لماذا تشذ هذه الحالة وحدها ، ومعظم الشرور قد نجى بالخير عرساً (لأنه أليس من الجائز أن يكون الموت كذلك أفضل من الحياة في بعض الظروف ؟) وإذا كان خيراً للانسان أن يموت ، فما الذي يمنع أن يقدم لنفسه الخير بنفسه ؛ ألزام عليه أن ينتظر من غيره يد الاحسان ؟

فقال سيبس ضاحكاً في لفته الدورية القومية : أي وحق

جوير !

(١) يلاحظ سيبس تناقضاً بين تحريم الانتحار ، واعتبار الموت خيراً ؛ ولكن سقراط أجابه بأن الانسان : (١) سجين ولا يجوز له أن يفتح باب سجنه ويفر هارباً ؛ (٢) لأن الانسان ليس ملك نفسه ولكنه ملك للآلهة ؛ فليس له الحق في أن يتصرف فيما ليس له عليه سلطان المالك (٢) فيلسوف كان حقيقياً في مدينة طيبة ؛ وكان سحياس وسيبس هذان تلميذه

اختراع (الأبرة المغناطيسية) أو أنه هو (مخترع للأبرة المغناطيسية) وهذا النص هو الذي حفزني إلى التعليق . وبما لا ريب فيه أن نسبة اختراع بيت الأبرة إلى ابن ماجد (أحد نوابغ المسلمين في الملاحة) خطأ وليس فيها شيء من الصحة . فقد ثبت لدى العلماء والباحثين أن استعمال الأبرة المغناطيسية كان معروفاً في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد بينما ابن ماجد وجد في القرن التاسع للهجرة أو القرن الخامس عشر للميلاد ، فالقول بأنه هو مخترع الأبرة المغناطيسية غلط ، ولا يرتكز على منطق عدا كونه خلاف الواقع . وقد تكون هذه النسبة آتية عن مهارته في تسيير السفن وعن براعته في فن الملاحة ، وعن وقوفه على أصول الأبرة المغناطيسية ، وكيفية استعمالها وفهمه المبادئ المنطوية عليها عملها . وعلى ذكر ابن ماجد أقول : قليلون جداً الذين يعرفون أن ابن ماجد من نوابغ المسلمين في الملاحة وأنه كان يلقب بأسد البحر الهائج ، وأنه « هو الربان العربي الذي سيراأسطول البرتغالي بقيادة فاسكودي غاما في طوافه حول الأرض من مالندي وهي جزر في المحيط الهندي على ساحل أفريقيا الشمالية إلى كلكتا في الهند . . . »^(١) ويقال إن أباه ومن قبله جده كانوا من رجال الملاحة المشهود لهم بالمهارة والبراعة وقد وضعا نظريات جديدة ومفيدة في علم البحر ، ثم جاء من بعدهما ولدهما ابن ماجد فألف كتباً قيمة في علم الملاحة وقد بناها على المشاهدة والتجربة منها : كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، وكتاب علم الملاحة ويشتمل على تاريخ الملاحة وعلاقتها بالنجوم في خليج العجم والبحر الهندي وشواطئ جزيرة العرب وسومطرة وسيلان وزنجبار وغيرها ، وكتاب حاوية الاختصار في أصول البحار ، وله أيضاً أرجوزة في علم الملاحة ، وله قصائد أخرى في وصف شواطئ جزيرة العرب^(٢) . وكان ابن ماجد يلقب نفسه بشاعر القلبين ويعرف بسليل الأسود . ولقد بقيت القواعد التي وضعها ابن ماجد ممتدة البحارة المسلمين في مالندي إلى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد . وقال برن الانكليزي أن بحارة عدن في سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) كانوا قبل الصفر يقرأون الفاتحة لروح الشيخ ماجد . ولا ريب أن المقصود بالشيخ ماجد هو ابن ماجد^(٣)

تدري حافظ طوقانه

نابلس

(١) مجلة الهلال : مج ٣٠ ج ٧ ص ٦٣٨

(٢) زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٢٤

(٣) راجع مجلة الهلال مج ٣٠ ج ٧ ص ٦٣٨ — ٦٣٩

هو ابتنى أن يلود بالفراو ، وأن يستخف بترك سيده الذي هو أفضل منه ؟ ولست إخال سييس إلا مشيراً اليك ، فهو يظن أنك لا تردد في تركنا ، بل لا تردد في ترك الآلهة الذين هم كما اعترفت أولى أمرنا الصالحون

فأجاب سقراط - نعم ذلك قول يستقيم مع العقل ، ولكن أهو في ظنك دعوى ينبغي أن أجيب عنها كما لو كنت أمام القضاء ؟ قال سمياس - ذلك ما كنا نبثني

إذن فلأحاول أن ألقى في نفوسكم أرواً خيراً مما تركت حين كنت أدافع عن نفسي أمام القضاء ، فلست أتردد يا سييس وسمياس في الاعتراف بوجوب الأسى من الموت ، إذا لم أكن راسخ العقيدة بأن ذاهب إلى طائفة أخرى من الآلهة ذوي الخير والحكمة (وإلى لأوقن بهذا يقيني بأى شيء آخر من هذا القبيل) وإلى الزاحلين من الرجال (وإن كنت لا أقطع بهذا قطي بالأولى) وهم يفضلون هؤلاء الذين أخلّفهم ورائي ، فلست لهذا أبتس ، كما كان ينتظر أن أفعل ، لأنى أمل خيراً ، بأن تمت شيئاً لا يزال مدخراً للموت ، وهو كما قد قيل منذ القدم أدنى جداً إلى الخير منه إلى الشر

قال سمياس - ولكن هل تريد أن تستصحب أراءك معك يا سقراط فلا تنقلها إلينا ! إنا قد نرجو أيضاً أن ننضم في ذلك النفع ، وأنت إذا وفقت بعد ذلك لاقناعنا ، كان ذلك منك رداً على ما أنتمت به

فأجاب سقراط - سأبذل وسى ، ولكن دعوى أستمع أولاً لما يريد كريتون . إنه كان قد هم أن يقول لى شيئاً فأجاب كريتون - أردت أن أقول يا سقراط إن الخادم الذى أمر باعطائك السم قد أنبأنى ، لأبلغك ، بأنه يحسن بك ألا تكثر الكلام لأنه يزيد من الحرارة ، وهذه تؤثر في فعل السم ؛ لقد اضطر أحياناً أولئك الذين أثاروا نفوسهم ، أن يجرعوا السم مرتين أو ثلاثاً

قال سقراط - إذن فليؤد واجبه ، وليتأهب لاعطاء السم مرتين أو ثلاثاً ، إذ الحرم الأمر ، وحسبنا هذا فأجاب كريتون - لقد كدت أوقن بأنك ستقول ذلك ، ولكنى لم أجد محيصاً عن إرضائه قال سقراط - لا تأبه له

فأجاب سقراط - إني أسلم بأن في هذا تناقضاً ظاهراً ، ولكن مع ذلك قد لا يكون هذا التناقض حقيقياً ، هناك مذهب جرت به الألسنة في الخفاء بأن الانسان سجين ، وليس له الحق في أن يفتح باب سجنه ليفر هارباً ، إن ذلك إشكال عظيم لست أفهمه فهماً دقيقاً ، ولكنى أعتقد مع ذلك أن الآلهة هم أولياؤنا وأنتا مملكتهم ، أفلم ترى ذلك ؟

قال سييس - نعم ، إني أوافق على ذلك فلو أن نوراً مثلاً مما تملك أنت أو حماراً ، شئت له إرادته أن يحميد بنفسه عن الطريق ، على حين أنك لم تُشِرْ له برغبته في وجوب موته ، أفلا تسخط عليه ، ثم ألا تعاقبه إن استعطمت ؟ فأجاب سييس - يقينا

وإذن فقد يكون في القول بأن الانسان يجب أن ينتظر ، وألا يهلك حياته بنفسه ، حتى يقضى الله فيه أمراً ، كما فعل بي الآن ، سنداً من العقل

قال سييس - نعم يا سقراط ، إن في ذلك ولا ريب سنداً من العقل ، ولكن كيف بعد هذا تستطيع أن توأّم بين هذه العقيدة الصحيحة في ظاهرها وهي أن الله مولانا ونحن له عبيد ، وبين ما كتبنا نضيفه إلى الفيلسوف من رغبة في الموت ؟ أما أن يرغب من هم أبلغ الناس حكمة ، في ترك هذا العمل الذى تحكمهم فيه الآلهة ، وهم خير الحاكمين ، فلا يسلم به العقل ، لأنه يستحيل على صاحب الحكمة أن يظن بنفسه المقدرة ، لو أطلقت له حرية العمل على أن يمضى بنفسه أكثر مما تُعنى به الآلهة ، ربما توهم ذلك المأفون ، وقد يحتاج بأن خيراً له أن يفر من سيده دون أن يضع في اعتباره بأن واجبه هو أن يثبت حتى النهاية ، لا أن يفر من الخير فراراً لا حكمة فيه . أما الرجل الحكيم فلا أخاله إلا راعياً في أن يكون أبدأ مع من هو خير منه . أنظر يا سقراط . فهذا يناقض ما قد قيل الساعة توأ ، إذ يترتب على هذا الأساس أن يأسف ذو الحكمة لفراق الحياة ، وأن يقتبط له الجهول

فصادفت حماسة سييس فيما يظهر غبطة من سقراط ، فالتفت إلينا وقال : ها كم رجلاً لا يبرح متساثللاً ، ولا تنكفى لأقناعه الفترة القصيرة ، وليست كل حجة ترضيه

فأضاف سمياس - ولكن اعتراضه الآن يبدو لى على شيء من القوة ، فأى غناء عسى أن يكون في ذى الحكمة الحق ، إذا

كل شيء مما يزيد على حاجة الطبيعة ؟ فماذا تقول ؟
يجب أن أقدر بأن الفيلسوف الحق ينبغي أن يزدريها
ألمست ترى أن ينصرف بكلية إلى الروح لا إلى البدن ؟
إنه يود أن يتخلص من البدن وأن يعود إلى الروح ما استطاع
إلى ذلك سبيلاً
ذلك حق

وترى الفلاسفة يلتزمون في مثل هذا الأمر كل سبيل لفصل
الروح عن الجسد أكثر مما يفعل سائر الناس جميعاً
ذلك صحيح

بينما يعتقد سائر الناس بإسماس أن حياة تخلص من لذائذ
البدن ولا تأخذ منها بقسط ، ليست حقيقة بالبقاء ، بل برون
أن إنساناً لا يفكر في مسرات الجسد ، يكاد يكون كالأموات
ذلك جد صحيح

وبعد فماذا عسانا أن نقول عن السبل الحقيقية التي تقتضيها
المعرفة ؟ إن كان ثمت ما يدعو الجسم للمساهمة في تحصيلها ، فهل
يكون عائقاً لها أم معيناً عليها ؟ أعني هل يأتينا بالبصر والسمع
بحقيقة ما ؟ أليس هما دليلان خاطئين كما لا يفتأ ينبئنا الشعراء ؟
فإن كانا خاطئين ومبهمين ، فماذا عسى أن يقال عن سائر الحواس ؟
ولا أحسبكم معارضين في أنهما أضبط الحواس
فأجاب سمياس - بيقيناً

وإذن فمتى تدرك الروح الحقيقة ؟ - لأنها إن أشركت معها
الجسم فيما يحاول أن تبعته ، فهي مخدوعة لا عمالة
- نعم ، هذا صحيح

- أفلا يجب إذن أن يتكشف لها الوجود بوساطة الفكر ،
إن كان له أن يتكشف

- نعم
- وأحسن ما يكون الفكر حيناً ينحصر في حدود نفسه ،
حتى لا يشغله شيء من هذه - فلا أصوات ولا مناظر ولا ألم ولا
لذة مطلقاً - وذلك إنما يكون عندما يصبح الفكر أقل اتصالاً
بالجسد ، فلا يصله منه حس ولا شعور ، بل ينصرف بتطلعه
إلى الكون

- هذا صحيح

« يتبع »

زكي نجيب محمود

وهأنذا الآن أجيئكم - أنتم يا قضائي - فأبين لكم أن من
عاش فيلسوفاً حقاً ، معه الخلة في أن ينعم بالآ إذا ما اقترب من
الموت ، وأنه قد يرجو أن يصيب في العالم الآخر بعد الموت
أعظم الخير . سأشرح لكما أي سييس وسمياس ، كيف يمكن
أن يكون هذا ، فيقلب فيما أرى أن يسمى الناس الظن بطالب
الفلسفة الصحيح ، لأنهم لا يدركون أنه أبداً دائب السوء وراء الموت
والموتى . وإن صح أنه ما برح راغباً في الموت طوال حياته ، فقيم
الجزع إذا ما نهأت له غايته التي كان لا يفتأ ساعياً إليها راغباً فيها
فضحك سمياس وقال - إني وإن كنت لا أسوق القول
متندراً هازلاً ، لأقسم بأنه لا يسمنى إلا أن أنجك إذا ما فكرت
فيما سيقوله هذا العالم اللعين ، حين يخبر بهذا - سيقولون بأن
هذا بالغ الحق - ومن في دورنا من أهل ، سيؤيدونهم ، في
قولهم بأن الحياة التي يتمناها الفلاسفة هي لاشيء غير الموت ،
ولهم قد تبينوا فماذا هم حقيقون بالموت الذي يتمنون

وهم على حق يا سمياس في قولهم هذا ، إذا استثنيت منه
هذه العبارة : « لهم تبينوا » لأنهم لم يتبينوا طبيعة هذا الموت
الذي يتمناه الفيلسوف الحق ، ولا كيف هو حقيق بالموت أو
راغب فيه ، فلندعهم وليتحدث بعضنا إلى بعض قليلاً : أنحن
معتقدون في وجود ما يسمى بالموت ؟

فأجاب سمياس - كن من ذلك على يقين
وهل يكون الموت إلا انفصال الروح عن الجسد ؟ والإنسان
إنما يبلغ هذا الانفصال إذا ما قامت الروح بذاتها مفصولة عن
الجسد ، وقام الجسد مفصلاً عن الروح - أليس ذلك هو الموت ؟
فأجاب - هو كذلك . وليس شيئاً غير هذا
وما قولك يا صديقي في مسألة أخرى ، أحب أن تدلي إلى
برأيك فيها ، وقد تلقى اجابتك عنها ضوءاً على موضوع بحثنا ،
هل ترى جديراً بالفيلسوف أن يعنى بلذائذ الأكل والشرب -
إن صح أن تدعى هذه لذائذ ؟

فأجاب سمياس - لا ، ولا شك
وماذا تقول في لذة الحب ، أتبني له أن يعنى بها ؟
لا يبني بحال من الأحوال

وهل يجوز له أن يطيل الفكر في غير ذلك من ألوان لذة
الجسد - كإيالة اللباس الفاخر ، والنمال ، مثلاً ، أو غيرها من
زينات البدن ؟ ألا يجدر به بدلاً من أن يعنى بهذا أن يزدري